

## مشروع دولي IDA : صور و تغيرات شكل الآخر

تحت إشراف:

مركز بحث FIMIM، قسم اللغات و الآداب و الثقافات الحديثة لجامعة بولونيا –إيطاليا

-تحت تنسيق:

ناهد نوروزي، فرانتشيسكو بينوزو، كارلو سكوني Nahid Norozi, Francesco Benozzo, Carlo Saccone

-المساعدون والمشاركون في مشروع IDA الناشطين في جامعات أو مؤسسات بحث من حوض المتوسط:

كريستيانو بدين Cristiano Bedin، دنيز ديلساد كارايل Deniz Dilşad Karail (جامعة الاسطنبول)، حسين محمود Hussein Mahmoud، نفين صبح Nivin Sobh (جامعة القاهرة)، جويده عباس Djaouida Abbas، عائشة شقاليل Aicha Chekalil (جامعة البليدة- الجزائر)، فابيو تيديا Fabio Tiddia (مراكز البحث الطهران)، زكريا بودحيم Zakaria Boudhim (جامعة الرباط، مراكش)

### 1. مقدمة

اهتز العالم المتوسطي في الربع الأخير من القرن العشرين، حتى بداية القرن الواحد والعشرين بالعديد من الأحداث المفجعة كأحداث الحرب التي شبت في التسعينيات في البلقان، وفي السنوات التي تلت في الشيشان والقوقاز، ولاحقا في حربي الخليج، وهكذا رويدا رويدا إلى غاية النزاعات الأخيرة التي شملت ليبيا وسوريا والعراق حيث كان للقوى الاستعمارية الأوروبية السابقة دور حاسم. هذه الأحداث المؤلمة التي غالبا ما تجابهت فيها بالسلاح شعوب مسيحية و مسلمة، قد اختبرت متانة العلاقات التقليدية للبلدان المطلة على البحر الأبيض المتوسط القائمة على حسن الجوار والتعاون على المستوى الاقتصادي والثقافي. من المؤكد أن مستوى التحفظات و انعدام الثقة المتبادلة بين شعوب حوض المتوسط لم يتضاءل، و في كل مكان مازالت تتكرر الأحكام المسبقة وأحيانا الأحكام الموجزة المتعلقة بالآخر في الصحف ووسائل الإعلام وفي الشارع. وهذا بالتأكيد ليس بالأمر الجديد. في العصور الوسطى كني المسلمون من طرف الغرب باللقب الموجز "سراسين"، كما لقب العالم الإسلامي المسيحيون القادمون من أوروبا بالاسم المبهم "الفرنجة" الذي ينحدر لغويا من كلمة "الإفرنج".

لذا يجدر اليوم بالمؤسسات الجامعية محاربة هذا النوع من التبسيط اللغوي الذي يختصر ثقافة-حضارة بأسرها في مصطلح واحد مبهم وموجز، في حين أنها تمتلك في جوهرها تعرجات عديدة وتمايزات وتيارات وألوان مختلفة. اختصار الآخر في مصطلح تعريفي غليظ كتلك الألفاظ التي استعملت منذ العصور الوسطى، هو في حد ذاته إنشاء حاجز يصعب هدمه في فترة وجيزة. حواجز تحول دون شرح أو فهم تاريخنا المشترك، الثري بالكثير من لحظات التداخل التجاري والثقافي السعيد. نحن نعلم أنه قد كانت هنالك أوروبا غير مسيحية، نتذكر (في هذا الصدد) الأندلس وصقلية خلال الفترة الإسلامية أين ازدهرت عاصمات قوية مثل قرطبة وباليرمو، أو نتذكر هذا الجزء المهم من المنقذين الأوروبيين من القرن العشرين الذين كانوا من أصول يهودية والذين ساهموا في التطور الفكري الأوروبي قبل أن يتم إبادته من طرف الهمجية النازية. كما نتذكر أيضا العالم العربي المسيحي بأساقفته و علمائه الذين كانوا يتنازعون حول المسائل اللاهوتية في بغداد القرن التاسع في عهد الخليفة المأمون. هذا العالم العربي المسيحي يعرف حتى الآن الكثير من المجتمعات المنتشرة بين الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط، من لبنان إلى العراق والذي كان رائدا خلال النهضة العربية ما بين القرن التاسع عشر و القرن العشرين. أما فيما يخص العالم التركي العثماني، وريث بيزانطا من مختلف الجوانب أو "روما الثانية"، فكان حاضرا بقوة خلال الأحداث الأوروبية، ليس فقط بسبب الحروب بل و ربما بصورة أوسع عبر التجارة والعلاقات الدبلوماسية مع البندقية، تاركا وراءه بصمة واضحة في الآداب والفنون المرئية وحتى في الموسيقى.

وبالمثل يمكن للمواجهة بين المشرق والمغرب أن تؤدي إلى الفهم الخطأ: أكد أليساندرو باوزاني، باحث معروف في الإسلام، أن هذا الدين "جزء أساسي من الثقافة الغربية" مفكرا في المساهمة الكبيرة للفلاسفة والعلماء العرب (الذين كانوا في الحقيقة يكتبون باللغة العربية ولكن في الغالب كانت لهم أصول أعجمية وأيضاً تركية و فارسية) الذين طوروا العلوم عبر تفسير منهجي للفلاسفة اليونانيين. الديانة المسيحية بحد ذاتها التي هي عنصر أساسي للهوية الأوروبية، والتي ظهرت في الغرب، استمدت قوتها من الكتب القديمة والكتابات المقدسة المؤلفة في...المشرق. في العديد من المرات يذكر القرآن تقريبا كل رسل الإنجيل، مخصصا مكانة شرف لعيسى ومسميا السورة التاسعة عشر "مريم".

يمكن لجذور ما يعرف اليوم بـ"الغرب" أن تفاجئنا. في جنديسابور بإيران ما قبل الإسلام، ابتداء من سنة 271 ميلادي، نشط مركز رائع للترجمات والأبحاث العلمية الذي استعان بعمل المثقفين والفلاسفة القادمين ليس فقط من الإمبراطورية الفارسية الساسانية بل وحتى من الهند ومن الأراضي الهيلينستية في حقبة متأخرة، خاصة بعد غلق أكاديمية أثينا من طرف جستينيان في سنة 529

ميلادي. في جنديسابور تطورت العديد من العلوم كالفلك والرياضيات والطب وترجم من اليونانية ومن اللغات الهندية وحتى من الصينية. استفاد العالم الإسلامي من كل هذا العمل ابتداء من العهد العباسي (نصف القرن الثامن) واعتبر "بيت الحكمة" الموجود في بغداد أثناء الخلافة، الوريث الطبيعي لأكاديمية جنديسابور. في بغداد استمرت ترجمة النصوص العلمية والفلسفية خاصة من اليونانية والسريانية بفضل عائلات المترجمين الذين كانوا في أغلبيتهم عائلات يهودية ومسيحية. في القرون التالية شهدت هذه النصوص تطورا ملحوظا استثنائي بتفسيرات معمقة مكتوبة بالعربية (من طرف الغزالي، ابن الهيثم، ابن سينا، الرازي، الفارابي، جابر، ابن رشد)، ونقلت بدورها فيما بعد للغرب المسيحي خلال العصور الوسطى. عرفت لاحقا مكتبة طليطلة الثرية، التي استعادها المسيحيون منذ فترة وجيزة (1085)، تدفقا كبيرا للترجمات ولكن هذه المرة من العربية إلى اللاتينية، ثم استفادت منها فيما بعد الفلسفة المدرسية (السكولائية) ممثلة في أسماء كالقديس ألبيرتوس ماغنوس و توما الأكويني.

أثينا، جنديسابور-بغداد، طليطلة: كما نلاحظ تبقى أكاديمية جنديسابور وخليفاتها المباشرة بيت الحكمة في بغداد مركزا لتداول المعرفة منذ القدم (ليس فقط القدم اليوناني!) إلى غاية العصور الوسطى اللاتينية، حيث شكلا الحلقة الرئيسية لـ"جذور المعرفة الغربية" وحيث كانت هنالك رغبة لمدة طويلة في إزالة المراكز البعيدة جغرافيا والتي اعتبرت بالخطأ غير فعالة.

هل يمكن بجدية الاستمرار في الحديث عن المشرق والمغرب في حين أنه في حوض المتوسط يتشارك من البداية التوارث الإنجليزي و اليوناني الهيلينستي؟ متى سنكتشف أن المواضيع الكبرى في أدب الأخرويات اليهودية-المسيحية والإسلامية (دورة المعراج) ترجع من جديد عند دانتى وابن العربي وإيمانويل رومانو والسنائي؟ إلى متى ستستمر في أوروبا حتى القرن الثامن عشر دراسة قانون ابن سينا وكيمياء جابر؟ العالم المتوسطي قد عرف بالتأكيد لغات إثنية وأديان مختلفة، وشاهد شعوبا تتنازع منذ الحروب الصليبية إلى غاية الكفاح التحريري ضد الاستعمار، غير أن الحديث عن المشرق والمغرب يشعرا فعلا أنه سيبقى محلا لسوء الفهم .

## 2. أهداف المشروع IDA

مشروع IDA (صور وتغيرات شكل الآخر) لا يريد أن يتجاهل الحقيقة غير المتجادل فيها، بأنه بين شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط -حوض المتوسط الكبير الذي، من الإسكندر الأكبر إلى ما بعده، أوصل تأثيره إلى غاية أبواب الهند- صورة الآخر قد كانت ولا تزال تشويها لشكل الآخر (وفي الحقيقة الكثير من التشويه).

مع بداية القرن الواحد والعشرين ظهرت صورة جديدة للآخر محملة بنزعات عرقية واجترار عنصري، والتي لا تزال تتشكل في الضمائر والمدارس والجامعات ووسائل الإعلام. الغرض من هذا المشروع IDA قد يكون وقد يجب أن يكون كالاتي: تجسيد صورة جديدة للآخر وهذا انطلاقا من تحليل في الأدب، وليس فقط بالاهتمام بهذه التغيرات الشكلية لأنها كثيرة وجد قوية. نقرأ في القرآن (سورة الكهف، آية 60) أن موسى قد سافر إلى "مجمع البحرين" بصحبة الرسول-المبادر الغامض الخضر. اقترح المفسرون عدة مواقع لهذا المكان مثل معبر السويس الذي يوجد بين بحرين مهمين في العالم ما قبل الحديث. ولكن العبارة، لأنها غامضة، يبدو أنها تلمح رمزيا إلى لا-مكان الروح، إلى نقطة لقاء غامضة أو حدود ما بين الحقيقة و العوالم المختلفة، وهو ليس بالشئ الذي لا يمكن التواصل عليه. في تصريح موسى ("لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين"، سورة الكهف، الآية 60) يتبين لنا قراءة بيان وحتى شبه برنامج الذي يجب على العالم المتوسطي الحديث -الذي هو اليوم في صراعات وفي أزمة حادة للفكر وللهوية- أن يتبعه بوعي وبطيقه بشجاعة.

المشروع IDA يزمع مشاركة دارسين وباحثين خاصة الشباب منهم، الذين بدؤوا منذ فترة وجيزة مغامرتهم في مجال البحث، لأننا متأكدون أن هؤلاء هم أولا من لديهم الاهتمام والقدرة على "إعادة تشكيل" صورة للآخر. من هنا تجلت لمركز بحث FIMIM التابع لجامعة بولونيا- إيطاليا والذي يشمل بعضا من أهم المراكز الموجودة في المنطقة، فكرة ترقية شبكة بين جامعات حوض البحر المتوسط من تركيا (جامعة اسطنبول) ومصر (جامعة القاهرة) والمغرب (جامعات جزائرية ومغربية). وللمشروع أيضا تطلعات في المشرق وصولا إلى إيران وبلاد الرافدين، وبذلك نكون على علاقة وطيدة مع عالم حوض المتوسط ونو حضور في التطور الذي هو بالتأكيد القلب النابض لتاريخنا المشترك.

المشروع IDA يريد أن يعطي الأولوية للأبحاث التابعة لمجال الأدب والأدب المقارن وتاريخ العلاقات الثقافية بين الشعوب. سوف يأخذ بعين الاعتبار الفترة الممتدة من العصور الوسطى إلى العهد المعاصر والحديث، مع اهتمام خاص بكل من التبادل الأوربي الغربي من فترة الحروب الصليبية إلى يومنا هذا من جهة، ومن جهة أخرى بالعالم الإيراني التركي المنعكس على حوض المتوسط وعلى آسيا الوسطى والجنوبية. وهذا دون التغاضي عن منابر المعرفة الأكثر تقليدية، الخاصة بدراسة اللغة والثقافة "العربية"، "الرومنسية"، "الإيرانية"، "المتعلقة بالعصور الوسطى" أو "التركية"، بل بالعكس مع نية وضعها في تواصل حوارى أخذين بعين الاعتبار فضاء التبادل الذي غالبا ما أهمل من طرف الدراسات المتخصصة باستثناء مجالات محددة (مثل أدب الهجرة أو الدراسات الثقافية)، مع اقتناعنا -كونها اليوم أكثر تشاركا- بأننا نواجه حوض تاريخي-ثقافي كبير ووحيد والذي يعطي الإلهام الأنسب والإطار المرض لدراسة الظواهر التي هي ليست بالقليلة والتي هي في الأول أدبية.

## 3. ديباجة

يتضمن المشروع ثلاث محاور رئيسية تم تحديدها من طرف القائمين عليه وهي:

-الأشكال الأدبية. مقارنة المواضيع والدوافع و الأنواع (الغنائي، الرواية، الدراما إلخ.) في آداب العالم الهندو-متوسطي من العصور الوسطى إلى يومنا هذا.  
-هوية الآخر (السراسين، الفرنجة، المهاجر، المستعمر، اليهودي، الغجري) في الأدب السردى وأدب الرحلة وأدب الهجرة.  
-تاريخ الترجمات والتلقي في العالم الهندو-متوسطي (ترجمة مؤلفين أوروبيين إلى لغات شرق أوسطية ومؤلفين من الشرق الأوسط ومن الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط إلى لغات أوروبية).

#### 4.النشاطات المبرمجة وسبل نشر نتائج المشروع

- ملتقيات/ مؤتمرات بدعوة المشاركين الأجانب (برمجة محلية)
- ندوات ومخابر
- مؤتمرات دولية (بحركية في جميع مقرات المشروع)

سيعمل مختلف المسؤولون المحليون القائمون على مشروع IDA على تخصيص مساحات في المجلات و/أو السلسلات التابعة للأقسام لنشر نتائج أبحاث المشاركين.

لهذا الغرض يمكن أن تبرمج أيضا:

- أعداد خاصة من المجلة
- سلسلة خاصة لاستقبال أعمال الملتقى أو أعمال بمواضيع موحدة إلخ. التي عرضت في إطار المشروع.